

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

**against revolution the supporting in Algeria in scholars religious of role The
west occupation in the Algerian spanish the**

المؤلف: نصيرة بلبل

المؤلف: محمد بن تار

جامعة زيان عاشور-الجلفة

جامعة زيان عاشور -الجلفة

البريد الإلكتروني: sociobel@yahoo.fr

البريد الإلكتروني: sociobel@yahoo.fr

الملخص : يعالج المقال الدور الفعال الذي لعبه علماء منطقة معسكر وطلبته في عملية تحرير وهران من خلال التأثير على السكان لدعم الجيش النظامي الذي إقامة الباي مصطفى بوشلاغم من خلال النداء الى الجهاد لتخليص وهران من الاحتلال الاسباني بصفتها القاعدة الخلفية الى كان يعتمد عليها الاسبان للهجوم على باقي المناطق على غرار معسكر وتلمسان.

وتعالج الدراسة أيضا اثر العلماء على طلبة المدارس القرآنية والزوايا ليشكلوا مراكز متقدمة تطوعا للدفاع عن الإسلام بعد الخطب التي اقاموها على المنابر خاصة بمعسكر ، مستغانم ، تلمسان .. لكشف الحملات الصليبية التنصيرية الاسبانية المدعمة من قبل البابا ، كما يتطرق المقال الى الدور البطولي لجيش الطلبة الذي ساهم في حصار وهران ضمن جيش داي الجزائر محمد بخداش ونجاح الهجوم على حصون "سنتا كروز" ، "سان قريقوار" و "لامون" ومنه اهم ثكنة بالمنطقة التي كانت بداية لتحرير مدينة وهران من الوجود الاسباني .

الكلمات المفتاحية :

جيش الطلبة ، الجيش النظامي ، الباي مصطفى بوشلاغم ، الحملات الصليبية التنصيرية ، الداي محمد بخداش ، حصن سنتا كروز، حصن لامون ، حصن سان قريقوار

Abstract:

Religious scholars played an important role in preserving the privacy of Algerian identity and formed a strong bulwark against the wave of religious and cultural changes that colonialisme tried to impose with it , Through their speeches religious scholars contributed to the formation of students who contributed to the liberation and revolutionary movements that resisted colonialism in all its forms .

And the process of emancipation witnesses the active contribution of religious scholars

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

مقدمة :

عاشت مدينة وهران تحت الاحتلال الاسباني طيلة ثلاثة قرون من الزمن وذلك منذ احتلالها من قبل الكادرديناخيمينازدوسيسنروس (ximenez de cisneros) الذي كان يعتبر كبير أساقفة طليطلة ، والذي كان حاكما لإسبانيا ، حيث قاد جيشا لاحتلال السواحل الجزائرية ردا على هجمات الاسطول الجزائري الذي كان يقود حملات ضد الموانئ الاسبانية ، هذا وقد نجح الاسبان بعد العديد من المحاولات في احتلال مينائها والمرسى الكبير حيث عاثوا فيها فسادا ما جعل اهاليها يستنجدون بالعثمانيين لتخليصهم من هذا الاستعمار الذي ارهقهم بالضرائب الحروب المتكررة وحملة الكنيسة التي كانت تعمل على تنصير الأطفال الحديثي الولادة بعد اسرهم وتربيتهم على الديانة الكاثوليكية ، وامام هذا الوضع وفي ظل الحروب الدائمة بين العثمانيين والاسبان حول الثغور و السواحل الغربية نجح العثمانيون في تحرير وهران سنة 1708 لكن هذا التحرير لم يدم سوى 24 سنة ، حيث تم الاسبان إعادة دخول وهران ما أعاد الحروب الى المنطقة لاسترجاعها من قبل العثمانيين المدعمن من قبل جيوش الأهالي القادمين بايك الغرب خاصة منطقة معسكر التي لعب فيها الباي بن يوسف الملقب بمصطفى بوشلاغم¹ الذي تمكن من تكوين جيش من العلماء وطلبة الزوايا والمدارس القرآنية الذين لعبو دورا فعالا في تحرير مدينة وهران سواء عن طريق المشاركة فيها أو الدعوة اليها ، هذا الأمر الذي يستوجب علينا أن نطرح الإشكاليات الأساسية التي نبني عليها المداخلة ، والمتمثلة في الآتي:

ما حقيقة جيش العلماء وطلبة معسكر ؟، وما هو دوره في حروب تحرير وهران ؟ ، وما مدى تأثيره على سير الحرب ودعمها بالمجاهدين والمتطوعين ؟.....؟

1/- حقيقة جيش علماء وطلبة معسكر :

قسمت الدولة العثمانية خلال فترة حكمها الجزائر الى 03 أقاليم ، كل إقليم يسمى بايلىك ويحكمه شخصية تحمل لقب الباي منها بايك الجهة الغربية الذي تم إنشاؤه سنة 1701 بمازونة قبل ان ينقل الى ناحية الكرط بمنطقة معسكر ، وكلف بها الباي مصطفى بن

¹ الزباني محمد بن يوسف ، دليل الحيران و انيس السهران في اخبار مدينة وهران ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1978 ص 275

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

يوسف الملقب ببوشلاغم الذي يرجع له الفضل في تشكيل جيش من العلماء طلبة الزوايا الذين قرو التصدي للاحتلال الاسباني ودعم الجيوش العثمانية النظامية في تحرير مدينة وهران .

هذا وكان مصطفى بوشلاغم انسانا ذكيا فقد عرف قيمة رجال العلم والدين وسط مدينة معسكر ومستوى كلمتهم في المجتمع ، فقام بإقامة ثكنة بالمنطقة ، واقام مجلسا له من العلماء والطلبة بمثابة مجلس استشاري يلجأ اليه من اجل التحكم في الرعية وكذا حماية سلطته من ثورات السكان ، هذا واثناء دعوة باشا الجزائر بن خدّاش² الى ضرورة تحرير وهران من الوجود الاسباني وطلبة الزوايا الذين رأوا ان العملية تدخل في اطار الجهاد الذي يستوجب دعمه من خلال الدعوة للجهاد بالمساجد والزوايا وحمل لوائه خاصة وان الاسبان ، يحملون في حروبهم نزعة دينية ويرفعون لواء الكنيسة والبابا ، وسبق لهم سنة 1542 وان هاجموا نواحي معسكر على غرار نسمة ، البنيان وواد تاغية، غريس وتم قتل رجال الدين والعلماء وعلى رأسهم العالم المشرفي والتنكيل بجثته ، زيادة على القضاء على الزوايا والمساجد ، خاصة وان الاسبان حرقوا مكتبة المشارف بعد تدميرها³ . الامر الذي جعل العلماء يدعون الى الجهاد في المنابر وزرع الفكر في الزوايا التي استجاب لها طلبة الزوايا بصفة أساسية ، بحكم ان تلبية النداء ركن من اركان الإسلام وهو فرض عين، وقد التحق طلبة الزوايا والمدارس القرآنية بمعسكر وعلمائها بالجيش العثماني فرادى وجماعات بغية تلبية نداء الجهاد وتحرير وهران من يد الاسبان الذي ارتبط اسمها بحملة التنصير التي كانت تهدف وهران واحوازا خاصة في ظل الاطماع الاسبانية في التوسع شرقا نحو مستغانم وجنوبا نحو تلمسان .

2- / تأسيس جيش علماء وطلبة معسكر وتركزه بإيفري :

تقرر انشاء جيش العلماء والطلبة المنحدرين من معسكر للمشاركة في عملية تحرير وهران سنة 1791، حيث تم وافق الباي محمد بن عثمان الكبير على قرار تشكيل فريق الجيش والحاقهم برباط سمي برباط "إيفري" يقع قرب وهران وكان يضم حوالي 200 من طلبة الزوايا والمساجد والاعيان والعلماء الذين يحضون بمكانة لدى سكان معسكر ونواحيها ، وقد عين على رأسهم العالم محمد بن جيلالي

²، المزاوي الاغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق يحيى بوعزيز ، الجزائر ، دار البصائر ج 01 ص 234

³، الزهار ، احمد الشريف ، مذكرات احمد الشريف الزهار ، نقيب الاشراف ، تحقيق توفيق المدني الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974 ، ص 36

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

ومُجد بوجلال والطاهرة بن حوة⁴ وبن زرفة⁵ وذلك بعدما تم اخضاعهم للتأطير والتدريب من قبل السلطة الإدارية لضمان نجاح مهمتهم وقيامها على احسن وجه ، خاصة وأنهم يحزون على اهم شيء وهي الشجاعة وقوة التأثير وجمع الجيش والرفع من معنوياته كما تم تعيين أربعة نواب لمحمد بلجيلالي وهم :

. الشيخ الطاهر بن حوة : والذي كان يشغل قاضيا لمعسكر .

مُجد بن مصطفى بن عبدالله بن زرفة وكان يشغل سكريتير للباي .

احمد بن مُجد بن علي بن سحنون الراشدي وكان يشغل سكريتير للباي.

العالم محمد بن علي أبو طالب المازوني ، وهو عالم جليل ينحدر من مازونة وقدم الى معسكر وكان يحظى باحترام الشيوخ والطلبة ، الذين ساهموا في الهجوم على وهران سنة 1791 برفقة الجيش العثماني وابدو استماتة وبسالة في قتال الاسبان ، وارغامهم على التراجع والفرار بفعل الحماسة ونداء الجهاد "الله اكبر" ، من جانب اخر ساهوا في كتابات حول جهادهم ، حيث الف احمد بن مُجد بن علي بن سحنون الراشدي كتابا هاما حول تحرير وهران يحمل عنوان "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، من جهته وبأمر من الباي الف مُجد بن مصطفى بن عبدالله بن زرفة كتاب "الرحلة القمرية في المسيرة المحمدية الذي يؤرخ لأحداث تحرير وهران ومعارك العثمانيين ضد الاسبان لحظة بلحظة ويصف الملاحم التي شهدتها الطلبة والعلماء وكيف لعب العلماء دورا فعالا في دعم معنويات الجيش بالدعوة الى الجهاد ، كما كان للعلماء دورا في كتابة تاريخ وهران وحروب الاسبان ونقلها في مصادر لاتزال تشكل المادة الخام لكتابة تاريخ الجزائر الحديث⁶.

3- /جيش علماء وطلبة معسكر ودورهم في تحرير وهران:

تؤكد بعض المصادر التاريخية ان باي الجزائر المدعو بخداش امر بتحرير وهران سنة 1702 جاء تلبية لاحد العلماء المدعو " بن قوجيل " في حين تشير مصادر أخرى انه طالب من احدى الزوايا والذي يكون قد اقنع الباي بخطورة بقاء الاسبان في وهران فتقرر تنفيذ عملية

⁴، أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ج 01 ص 329

⁵ ، ابن زرفة ، أبو مُجد المصطفى ، بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2597

⁶ ، ابن سحنون احمد بن احمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث الأصلي ، قسنطينة ص 247

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

المهجوم على حصون الاسبان لتحرير وهران للمرة الثانية التي انطلقت من طرف الجيش العثماني المدعم بجين من العلماء والطلبة واعيان معسكر واهاليها شتاء سنة 1790 بأمر من باي معسكر محمد بن عثمان بالهجوم على حصن سانتا كروز "santa cruz" وقصبة وهران القديمة لكن سوء الأحوال الجوية اجهض العملية خاصة في ظل الامطار الغزيرة التي دامت عدة اسام والتي أرغمت الجيش على التراجع الى معسكر ، لتعود المواجهات خلال الربيع حيث ضرب الجيش العثماني المدعم بجيش الطلبة و العلماء والاعيان والأهالي الذي زاد عدده بفعل الدعوة الى الجهاد حصار على وهران ، قبل ان يتم مهاجمتها يوم 1791/07/23 ودخول المدينة بعد قتال عنيف ابدى فيه جيش الطلبة والعلماء استماتة في القتال وفقد القاضي الطاهر بن حوة الذي سقط شهيدا على أبواب مدينة وهران ، ورغم الاستنجاء بفوج من الجيش المدرب الذي يقوده الفارس طورسي "chevalier de tourcy" لكن العثمانيين استمرو في هجمات اكتساح المدينة والتراجع في معارك كلفت الاسبان خسارة 266 من جنودها ، وكان اشد هجوم تم اعادته على وهران يوم 1791/09/17 والذي تم دعمه بجيش من العثمانيين وأهالي الظهرة من قبل الباي ما شدد الخناق على الاسبان الذين احتموا في الحصون للدفاع عن انفسهم لا على المدينة لكن قطع مياه الشرب على المدينة ادخل وهران في موجة من العطش بفعل الحصار الشديد⁷، ما جعل الاسبان يقررون الاستسلام وامضاء معاهدة الاستسلام التي امضاها الملك الاسباني شارل الرابع يوم 1791/12/09 بعدما نيس من الرد المهجوم والحصار المفروض على المدينة التي دخلها الباي محمد ابن عثمان الكبير على رأس 15000 من الجنود العثمانيين والطلبة يوم 1792/02/28 وهم يحملون المصاحف ويهللون بالفتح المبين لوهران بعد احتلال اسباني غاشم دام اكثر من 03 قرون وقد كان لتحرير وهران وما حوته الاتفاقية الاستسلام اثر إيجابي على المنطقة ، خاصة وان الانسحاب كان بدون قيود أو شروط مع دفع 120 الف فرنك للجزائر وتعيد لها كل ما عنمه الاسبان سنة 1732 من مدافع واسلحة ، كما احتوت الاتفاقية على بنود اقتصادية هامة تخص صيد المرجان بالسواحل الغربية واقامو مركز تجاري بالغزوات . وشراء ثلاثة الاف كيلة من القمح الجزائري سنويا كما تمكن الجيش العثماني بعد دخول وهران من استرجاع 113 مدفع وكميات هامة من الدخيرة المتمثلة في البارود والكور

4- / اهم المعارك التي شارك فيها جيش العلماء والطلبة ودوره في تحرير وهران وإعادة اعمارها :

7. احمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976 ص523

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

قام جيش العلماء والطلبة و الاعيان تحت لواء الجيش العثماني بقيادة الباي بوشلاغم بالمشاركة في حصار مدينة وهران الذي دام 05 أشهر كاملة بالإضافة الى العشرات من المعارك الحاسمة التي خلدتها التاريخ ، حيث لعب فيه العلماء ورغم جعلهم لاستعمال السلاح وفقدانهم للتدريب العسكري ، الدور الأكبر في حث الجيوش على الثبات والمهجوم على العدو من خلال الدعوة الى الجهاد ، وحث المجاهدين على الشجاعة والثبات كما شاركوا في الهجمات واستماتوا

في المواجهة ، حيث كان اول هجوم على حصن برج العيون "fort des fontaines" حيث وبعد هجوم حماسي تحت صيحة " الله اكبر " استسلمت القلعة في اليوم الموالي ، ليليتها الهجوم على حصن سنتا كروز "fort santa cruz"⁸ والتي تم اسقاطها بمجرد هجوم واحد ، حيث انصعق الجنود الاسبان تحت صيحات جنود الجيش العثماني المدعم بفوج العلماء والطلبة والاعياء الذي كان له الدور البارز في في اشعال فتيل الحمية العسكرية وترديد شعار "الله اكبر " الذي كان يرعب الاسبان ويدخل الهلع في نفوسهم وفروا تاركين 106 رجل و 06 نساء ، وبعدها شارك جيش العلماء وطلبة معسكر واعيانها في دك حصن لامون "fort la mounne" بعدما رفض المرابض به الاستسلام ما استلزم قذف الحص بالمدفعية وتخريب الثكنة ودخولها بحد السيف .⁹

وبعد اخضاع الحصون الرئيسية المطلة على المدينة تم الهجوم على المدينة واستطاعت فرق الاتراك والأهالي والعلماء من دخول وهران وبلوغ القصبة تم فتح شاطوناف "chateau neuf" واسر 165 شخصا كان به في حين تم مهاجمة المرسى الكبير والقضاء على ما يزيد عن 3000 جندي اسباني في مواجهات دامية بين الاتراك العثمانيين والأهالي من جهة والاسبان من جهة أخرى .¹⁰

من جانب اخر لعب العلماء من المجاهدين الدور الكبير في إعادة اعمار وهران ¹¹ حيث كان لهم الدور الفعال في حل اشكال سكان وهران من العرب المغايطيسالذين كانوا متعاونين مع الاسبان وهم قبائل يقيمون بوهران وضواحيها على غرار قبيلة بني عامر ¹² ، وهو اكبر المشاكل الذي واجه الباي محمد الكبير ، حيث انهم من اصدر فتوى شجاعة بالغفو عنهم ومسامحتهم ، بل انهم من لعبوا دور الوساطة

⁸ نفسه ص 227

⁹ ، احمد توفيق المدني ، مرجع سابق بق ص 254

¹⁰ ، حميدة عميراي ، الجزائر في ادبيات الرحلة والاسر خلال العهد العثماني ، مذكرات تيدنا النموذج ، الجزائر ، دار الهدى ، 2005 ، ص 73

¹¹ ، ابن سحنون ، مصدر سابق ص 248

¹² ، المشرفي عبد القادر ، بهجة الناصر في الدخيلين تحت ولاية الاسبان كني عامر ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، بيروت ، لبنان ، مكتبة الحياة ، د ت ، ص

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

بينهم وبين الباي ، حيث كان احمد ابن سحنون الراشدي وعبد الله بن حوا من توسطا في الملف و رافقوا وفدا منهم يتكون من 40 شخصا والدين استقبلهم الباي وقرر مساعدتهم وعفا عنكم وامهم¹³ ، لكنهم لم يتمكنوا من العيش في المدينة كما لم ين مسموح لهم بالعيش في اسبانيا بعدما تحلى عنهم الاسبان ، فلذلك لجأوا الى مدن مليلية ، سبتة وتطوان .

خلاصة :

ان المتتبع لتاريخ تحرير وهران وفقا لما تناولته المصادر التاريخية ، يقف على حقيقة الدور الفعال الذي لعبه جبي علماء وطلبة معسكر واعيانها في تحرير المدينة ، بالرغم من النقص في التدريب على استعمال الأسلحة وكذا التكوين العسكري ، لكن كان لهم إرادة قوية . التي استمدوها من الجهاد في سبيل الله ، كما كان لهم دورا فعالا في الرفع من عزيمة الجند في المعارك عن طريق خطب تدعو الى الثبات والجهاد ، من جانب اخر نجد ان تاريخ وهران قد سجل بدماء بعض الطلبة واعيان معسكر الذين استشهدوا على أبوابها عشية التحرير يتقدمهم قاضي معسكر الطاهر بن حوة ، من جانب اخر ان اغلب المصادر التي ادرخت لفتح وهران كتبها من علماء وطلبة معسكر على غرار احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي الذي الف كتابا هاما حول تحرير وهران يحمل عنوان "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، من جهة أخرى الف محمد بن مصطفى بن عبد الله بن زرفة كتاب "الرحلة القمرية في المسيرة المحمدية الذي يؤرخ لأحداث تحرير وهران ومعارك العثمانيين ضد الاسبان لحظة بلحظة ويصف الملاحم التي شهدتها الطلبة والعلماء والذي يعتبر من اهم المصادر التي كتبت على تحرير وهران .

هذا وبناء على ما سبق دراسته ، نجد ان الدور الذي لعبه علماء وطلبة واعيان معسكر لا يقل أهمية على جيوش الباي محمد الكبير العثمانية ، فادا كان العثمانيين وما بدلوه من هجمات بالمدافع والأسلحة والبارود فان اعيان معسكر وطلبتها بالإضافة الى المساهمة الجسدية والمشاركة في عملية التحرير ، دعموا الجيش على الثبات بالخطب الرنانة الداعية الى الجهاد والتي ضاعفت الحماسة في نفوس الجند .

، ابن هطال التلمساني ، رحلة الباي الكبير الى الغرب الجزائري ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، القاهرة ، عالم الكتب 1969 ، ص23¹³

دور علماء الدين بالجزائر في دعم الثورة ضد الاحتلال الاسباني بالغرب الجزائري

من جانب اخر كان لهم دور الوساطة في تعمير وهران بعد فتحها ودخولها من خلال الوساطة وإصلاح ذات البين ما بين الباي العثماني حاكم وهران وقبائل المغاطيس العربية التي كانت متعاونة مع الاسبان والتي رفضوا نقلهم معهم الى اسبانيا وتركهم يواجهون حضهم مع الاتراك العثمانيين وضمان مساحتهم دون معابقتهم وهي خطوة لا يستطيع تحملها الا العلماء وأصحاب العلوم .

قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها :

- 1- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ج 01
- 2- ابن زرفة ، أبو محمد المصطفى ، بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2597
- 3- ابن سحنون احمد بن احمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث الأصلي ، قسنطينة
- 4- ابن هطال التلمساني ، رحلة الباي الكبير الى الغرب الجزائري ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، القاهرة ، عالم الكتب 1969
- 5- احمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976
- 6- حميدة عميراي ، الجزائر في ادبيات الرحلة والاسر خلال العهد العثماني ، مذكرات تيدنا نموذجا ، الجزائر ، دار الهدى ، 2005
- 7- الزباني ، محمد بن يوسف ، دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1978
- 8- المزاري الاغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق يحيى بوعزيز ، الجزائر ، دار البصائر ج 01.
- 9- الزهار ، احمد الشريف ، مذكرات احمد الشريف الزهار ، نقيب الاشراف ، تحقيق توفيق المدني الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974
- 10- المشرفي عبد القادر ، بهجة الناضر في الدخيلين تحت ولاية الاسبان كني عامر ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، بيروت لبنان ، مكتبة الحياة ، د ت ، ص 22